الفوائد المنتقاه من دروس كتاب التوحيد (3)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الدرس الأول

- الريح جندٌ من جند الله- عزَّ وجلَّ-، أهلك الله بها أمةً من الأمم، وهي قوم عادٍ، أهلكهم الله بالريح العقيم

- الريح هي جندٌ من جند الله، تأتي بالخير بأمر الله، وتأتي بالشر، وهذا راجعٌ إلى الله، الذي يدبِّر الأمور، ولا يرجع إلى الريح نفسها، إنما هي مُدَبَّرَةٌ، فهي لا تُسب ولا تُحمد.

- في سب الريح سبًّا لمن دبَّرها، وقدَّرها، وهو الله- سبحانه وتعالى-، وهذا نقصٌ في التوحيد.

- إذا رأى الإنسان ما يكره من الريح، أو خاف منها، فيقول :اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما أُمرتْ به، ونعوذ بك من شرها، وشر ما أُمرتْ به، فيُرجع الأمر إلى الله- سبحانه وتعالى-، لا إلى الريح، وهذا من تحقيق التوحيد.

- الريح لا تدبِّر من نفسها، وإنما هي مأمورةٌ بأمر الله، الله يرسل الرياح لواقح، يرسل الرياح مدمراتٍ، يرسل الرياح مثيراتٍ للسحاب، يرسل الرياح ملقحاتٍ للسحاب، يرسل الرياح مؤلفاتٍ للسحاب، فهي مُدَبَّرَةٌ بأمر الله- سبحانه وتعالى.

- قد تؤمر الريح بخيرٍ، من تأليف السحاب، وتلقيحه، ونزول المطر منه، وحمل السحاب أيضًا، حمله إلى الجهة التي أرادها الله- عزَّ وجلَّ-، ففيها مصالح، فيسأل الله من خيرها، ويستعيذ بالله من شرها؛ لأنها قد تأتي بالعذاب، تأتي بالدمار، تأتي بالنقص في الثمار والزروع.

- الأصل في النهي التحريم، ولا يصرفه عن التحريم إلا دليلٌ آخر، يدل على أنه لكراهة التنزيه.

- الريح فيها مصالح، أنها تلقِّح السحاب بالماء، أنها تؤلف بين السحاب المتفرق، أنها تسوقه إلى الجهة التي أمر الله بإنزال المطر فيها، أنها تحمله إلى ذلك، الله- جلَّ وعلَا -جعل فيها مصالح.

- الإنسان لا يتكلم في ذم الريح، أو مدحها، وإنما يشكر الله على ما فيها من خيرٍ، وأيضًا يعرف أن ما جاءت به من الضرر أنه من الله- سبحانه وتعالى-، فيحمد الله على قدره، ويتوب إلى الله؛ لأنها ما تُقدَّر بالشر إلا بذنوب العباد، فيتوبون إلى الله- سبحانه وتعالى.

الدرس الثانى

- القدر والقضاء من الله- سبحانه وتعالى-، هو تقدير الأمور التي تقع في هذا الكون، فما من شيءٍ يحدث ويقع إلا وقد قدَّره الله- جلَّ وعلَا-، وقضاه، وكتبه في اللوح المحفوظ، والإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة،

- الإيمان بالقدر خيره وشره، أنه من الله- سبحانه وتعالى-، فهو الذي يقدِّر الخير، ويقدِّر الشر، وله الحكمة البالغة في ذلك، فلابد من الإيمان بذلك، وأنه لا يجري في هذا الكون إلا ما قدَّره الله- سبحانه وتعالى-، وشاءه، فعدم الإيمان بالقضاء والقدر، ينقص به ركنٌ من أركان الإيمان، وبالتالي من أنكر القضاء والقدر لا يكون مؤمنًا بالله- سبحانه وتعالى-، وهذا نقصٌ في التوحيد.

- لما ذُكر لابن عمر- رضي الله عنه -أن قومًا يُنكرون القدر، ولا يؤمنون به، أنكر عليهم، وقال :والذي نفس ابن عمر بيده، لو أنفق أحدهم مثل أحدٍ ذهبًا،- مثل أحدٍ -يعني :جبل أحد، الجبل العظيم حول المدينة، لو أنفق ما يعادل هذا الجبل العظيم ذهبًا، في سبيل الله، ما تقبَّله الله منه، حتى يؤمن بالقضاء والقدر؛ لأن من جحد شيئًا من أركان الإيمان ليس بمؤمنٍ، ومن ذلك القضاء والقدر.

- **والناس في القضاء والقدر على ثلاثة أقسامٍ :طرفان ووسطٌ .**
  - ✓ طائفةٌ أنكرت القضاء والقدر، وهم المعتزلة .

- وطائفةٌ غَلت في إثبات القضاء والقدر، وهم الجبرية، الذين يقولون :إنَّ العبد مجبورٌ، وليس له اختيارٌ، وإنما هو مجبورٌ يُحرَّك بغير اختياره، كالريشة في الهواء يُحرِّكها الهواء، وليس لها اختيارٌ في ذلك، وهذا كفرٌ بالله، وعبثٌ في الاعتقاد، ولابد أن يؤمن بقضاء الله وقدره وأنَّ ما شاءه الله كان وحدث، وما لم يشأْهُ لم يكنْ ولم يوجدْ، كل ذلك بقضاء الله وقدره، ومع هذا فالإنسان مأمورٌ بفعل الأسباب، وبعمل الخير والطاعات، مع إيمانه بالقضاء والقدر، فلا يقتصر على الإيمان بالقضاء والقدر، ويكون من الجبرية، ولا يعتمد على القضاء والقدر ولا يعمل شيئًا فيكون من المعتزلة.

- عبادة بن الصامت- رضي الله عنه -الصحابي الجليل، لما حضره الموت، أوصى ابنه، ومن جملة ما أوصاه به الإيمان بالقضاء والقدر، وقال :يا بني، إنك لا تجد طعم الإيمان، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان، كثيرٌ يَدعي أنه مؤمنٌ، لكن لا يجدون طعم الإيمان، الإيمان له طعمٌ، وله ذوقٌ، وله حلاوةٌ، لا يجدها إلا المؤمن حقًا، لن تجد طعم الإيمان، حتى تؤمن بالقضاء والقدر .

- يحتمل أنَّ القلم هو أول المخلوقات، ويحتمل أنه ليس أول المخلوقات، والعرش سابقٌ له.

- مَن مات وهو لا يعتقد أن الأمور كلها مُقدَّرة ومقضية، وأنَّ القلم كتب كل شيءٍ بأمر الله- سبحانه وتعالى-، من مات على غير ذلك، فإنه لا يموت على الإسلام؛ لأنه مُنكرٌ لركنٍ من أركان الإيمان، وهو القضاء والقدر.

- لابد من الإيمان بالقضاء والقدر، ومن لم يؤمن بذلك، فإنه يُعذَّب بالنار مع الكفار والعياذ بالله.

الدرس الثالث

- الله تعالي قدَّر وقضى كل شيءٍ يَحدث في هذا الكون مِن خيرٍ أو شرٍّ، وأنَّ الإنسان إذا آمَنَ بالقضاء والقدر، وعَلِمَ أنَّ كل شيءٍ قد قضاه الله وقدَّره، فإنه يزول عنه القلق والهموم والأحزان، ويمضي في دنياه بما ينفعه مِن الأعمال الدينية والدنيوية، ولا يكون عنده خوفٌ من الحوادث، وخوفٌ من الأعداء؛ لأنه لابد أن يجري عليه القضاء والقدر، ولو كان حذرًا، وكان مختفيًا في بيته،

- القضاء والقدر لا ينجي منه شيءٌ، فهذا مما يكسب المؤمن المضيَّ والعزم في أمور مصالحه الدينية والدنيوية، ويتوكل على الله- سبحانه وتعالى-، ويعلم أنه لا يجري عليه إلا ما قدره الله، وما قدره الله فلا نجاة منه، لابد أن يأتيه نصيبه منه، مهما عمل ومهما احتاط، المؤمن يؤمن بالقضاء والقدر، ويمضي في طلب مصالحه الدينية والدنيوية، ويتوكل على الله- سبحانه وتعالى-، فمن اعتقد هذا الاعتقاد زالت عنه إشكالاتٌ كثيرةٌ، وأوهامٌ كثيرةٌ، وزاد قوةً في إيمانه، وصلابةً في دينه واعتمادًا على الله- سبحانه وتعالى-.

- لابد من الإيمان بالقضاء والقدر، وليس معنى ذلك أنك تعتمد على القضاء والقدر وتترك فعل الأسباب، بل تعمل ما فيه صلاح دينك ودنياك، ومعاشك، ومعادك، وتعتمد على الله، وتعلم أنَّ الحذر لن يُنجيك مِن القدر، وأنَّ ما كتبه الله لك أو عليك سيجري بأمر الله- سبحانه وتعالى-، ومادام الأمر كذلك، فإنك تمضي في طلب مصالحك الدينية والدنيوية، فالإيمان بالقضاء والقدر مما يزيد العبد مضيًّا في السعي في مصالحه، وأيضًا لا يعتقد أنه لو بقي في بيته، أو أنه اتخذ الحصون والدروع والجنود سينجو من قضاء الله وقدره، مادام الأمر كذلك، فإنه يُقْدم على العمل فيما يصلح دينه ودنياه.

- أنَّ تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإذا اعتقدت هذا الاعتقاد، استرحتَ مِنَ الهموم والوساوس والأحزان، فتمضي في مصالح دينك ودنياك، وتعتمد على الله- سبحانه وتعالى-، وأن تعلم أن الحذر لا ينجي من القدر.

- أنَّ هذا القلم لما خلقه الله، أمره بالكتابة، وقال :يا رب، وما أكتب؟ قال :اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فما يجري في هذا الكون من خيرٍ أو شرٍّ، من إيمانٍ وكفرٍ، من طاعةٍ ومعصيةٍ، من رخاءٍ وشدةٍ، كله بقضاء الله وقدره، فهذا يُكسب الإيمان قوةً في دنياه، وفي دينه، إذا اعتقد هذا الاعتقاد، ويدفع عنه الشكوك والأوهام، ويدفع عنه الوساوس والأحزان، وينطلق في مصالحه الدينية والدنيوية.

- براءة الرسول- صلى الله عليه وسلم -ممن لم يؤمن بالقضاء والقدر، وبراءته- صلى الله عليه وسلم - تدل على أن هذا الأمر خطيرٌ جدًّا، الرسول- صلى الله عليه وسلم -لا يتبرأ إلا ممن ليس على سنة الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وهي الإيمان بالقضاء والقدر، يعني :من سنة الرسول- صلى الله عليه

وسلم -الإيمان بالقضاء والقدر، ومن لم يتمسك بسنته، فالرسول- عليه الصلاة والسلام -بريءٌ منه.

- السلف، يُقصد بهم الصحابة والتابعون، ومن جاء بعدهم، أنهم إذا أشكل عليهم شيءٌ لا يتخرصون، ولا يقولون بغير علمٍ، يسألون أهل العلم والبصيرة، كما أمر الله- جلَّ وعلَا -في قوله :﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾] النحل[43 :، والرسول- صلى الله عليه وسلم -قال» :**ألا سألوا إذ لم يعلموا، إنما شفاء العي السؤال**«، فلابد من سؤال العلماء، ونقول :العلماء وليس المتعالمين، والمدعين للعلم، أو علماء الضلال، إنما المراد بالعلماء، المتمسكون بالكتاب والسنة، العلماء الذين عقيدتهم سليمةٌ، ومنهجهم قويمٌ، هم الذين يُسألون، الراسخون في العلم، يعني الثابتون في العلم، ليس المتزعزعين، أو المتشككين، وإن كانوا يدعون العلم.

- لابد من الإيمان بالقضاء والقدر، وأن ذلك يحقق الإيمان، وأن من لم يسأل أهل العلم فإنه يضل، فهذا فيه دليلٌ على أنه يجب الرجوع إلى العلماء في المشكلات والمعضلات، قال الله- جلَّ وعلَا :- ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾] النحل[43 :، الإنسان لا يأخذ بتخرصه ورأيه، ولا يأخذ بأقوال المتعالمين والجهال، أو العلماء الضلال، وإنما يأخذ عن العلماء الراسخين في العلم، الذين سلمت عقيدتهم، وسلم منهجهم في هذا الدين، وسلمت عقيدتهم، فهم الذين يسألون، ويُرجع إليهم في المشكلات والمعضلات.

- الجبرية لهم وجودٌ، وكذلك القدرية المعتزلة وأتباعهم وعلماء الكلام لهم وجودٌ كثيرٌ الآن، ولن يسلم إلا من التزم بمنهج السلف الصالح، وتمسك بالأدلة من الكتاب والسنة، وترك تخرصات المتكلمين، والفلاسفة، وغير ذلك.

- الطمأنينة في القلب، وثبات الإيمان، وعند المصائب، والنوازل يكون المسلم ثابت الإيمان، لا يتزعزع، ولا يتشكك، ولا يجزع أيضًا، ما يجزع إذا أصابه شيءٌ، وإنما يعلم أن هذا بقضاء الله وقدره، فيرضى بذلك ولا يجزع، فهذا يُكسبه قوةً في عمله وعلمه، وفي تصرفاته.

- الوالد مكلَّفٌ بتربية أولاده على طاعة الله- سبحانه وتعالى-، فإذا نُشِّأَ على ذلك، فإنه ينشأ ويكبر على هذه العقيدة الصحيحة، المؤسسة على اليقين، والاعتقاد الصحيح، وتكون فطرته سليمةً، كل

مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، فالوالدان إما أن يحافظوا على فطرة الولد، ويأمروه بالصلاة لسبعٍ، ويضربوه عليها لعشرٍ، ويفرّقوا بين الأولاد في المضاجع؛ خشية ما لا يجوز من التصرفات، أو الشهوات، فالوالد يراقب أولاده، يحافظ على فطرتهم، كل مولودٍ يولد على الفطرة، فإذا حوفظ على هذه الفطرة نمت، وثبتت، ونشأ الطفل عليها، وإذا غُيِّرت هذه الفطرة إلى ملةٍ غير الإسلام، الإسلام دين الفطرة، هو الذي يوافق الفطرة، وأما غيره من الأديان فهو مخالفٌ للفطرة، فأبواه يهودانه، يجعلانه يهوديًا، أو ينصرانه، يجعله نصرانيًا، أو يمجسانه، يجعلانه مجوسيًا منحرفًا عن دين الله- عزَّ وجلَّ-، كل هذه الأديان منحرفةٌ عن دين الله، والإسلام هو دين الفطرة، لم يقل يسلمانه؛ لأنه على الإسلام، وعلى الفطرة، لكن يحتاج إلى من يحافظ على فطرته، وينميها فيه، ويزكيها، فهذا هو المطلوب من الوالدين.

الدرس الرابع

- الحلف :هو ذكر مُعظَّمٍ لتأكيد محلوفٍ عليه، ولا يكون الحلف إلا بالله- عزَّ وجلَّ-؛ لأنه هو المستحق للتعظيم، وحده لا شريك له.

- الحلف بغير الله يكون من الشرك، كما في الحديث» :**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**«، فقوله» :**كفرَ أو أشركَ** «شكٌّ من الراوي، هل قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم» :-**كفر**«، أو قال» :**أشرك**«، وكلاهما محظورٌ عظيمٌ، الكفر والشرك، مما يدل على تعظيم الحلف بغير الله- عزَّ وجلَّ-، وأنه شركٌ أو كفرٌ.

- الحلف بالله إن كان صادقًا، فيمينه بارةٌ، وإن كان كاذبًا فيمينه آثمةٌ؛ لأنه مستهينٌ بعظمة الله- سبحانه وتعالى-، فعلى المسلم أن لا يُكثر من الحلف بالله، إلا إذا كان لذلك موجِبٌ وسببٌ، وأما التساهل بالحلف، وكثرة الحلف، الله- جلَّ وعلَا -يقول :﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ [القلم10 :.. 11].

- مِنَ الذين لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ :رجلٌ جعل اللهَ بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه.

- الحلف بالله يجب أن تُعظَّم، ويجب أن تُصان، وألا يُكثر الإنسان منها، وأما ما يجري على اللسان، من غير قصدٍ، كقوله" :لا والله"، و"بلى والله"، وهو لا يقصد عقد اليمين، فهذا من لغو اليمين ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾] البقرة[225 :، هذا لغو اليمين، لا يؤاخذ الله به، إنما يؤاخذ الله باليمين المنعقدة، التي قصد عقدها على أمرٍ مستقبلٍ ممكنٍ، هذه هي اليمين الغموس، التي تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار، إذا كذب فيها.

- يقول الله- سبحانه وتعالى :-﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ قيل معناه :لا تحلفوا إلا إذا اقتضى الأمر ذلك، وقيل معناه :لا تُكثِروا من الحلف بالله- عزَّ وجلَّ-، بل احفظوها، إلا عند الحاجة، وأن تكونوا بارِّين لا كاذبين.

- أن تعظيم الحلف أنه من كمال التَّوحيد، والاستهانة بالحلف من نقص التَّوحيد.

- الذي عنده شهادةٌ لا يؤديها حتى تُطلب منه، إلا إذا خاف أن يضيع الحق، ولم تُطلب منه الشهادة، فإنه يتقدم ويشهد؛ حفاظًا على الحق أن يضيع.

الدرس الخامس

- النبي- صلى الله عليه وسلم -أخبر أن خير القرون قرنه، وهم الجيل، القرن المراد به الجيل، قرنه الذي بُعث فيهم، وهم الصحابة- رضي الله عنهم-، فالصحابة هم خير القرون، وليس بعد الأنبياء خيرٌ من صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، الصحابي هو :من لقي النبي- صلى الله عليه وسلم -مؤمنًا به، ومات على ذلك، هؤلاء هم الصحابة- رضي الله عنهم-، ولهم فضلٌ عظيمٌ، وهم أفضل قرون هذه الأمة المحمدية.

- من فضل هذه الأمة، مهما تكالب الأعداء عليها، ومهما كثر مخالفوها، ومهما كثر الذين يريدون التغلب عليها، فإن الله يظهرهم ويحميهم ويمدهم بنصره وإعانته؛ من أجل أن يبقى هذا الدين، هذا الدين العظيم يبقى حيًّا مصونًا، إلى أن يأتي أمر الله- جلَّ وعلَا -عند نهاية هذه الدنيا.

- قوله تعالى :﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾] المائدة[89 :، قيل معناه :لا تحلفوا، وقيل معناه :لا تحلفوا على الكذب، ولا تستهينوا بالكذب، ولا تكثروا من الأيمان إلا عند الحاجة، مع الصدق في اليمين.

- أن الذنب يعظم مع قلة الداعي، الأُشيْمط ليس عنده داعٍ للزنا، ولكنه يحب الزنا، وهو في هذه السن، فهذا دليلٌ على قلة ورعه، وقلة دينه.

- ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون، يعني :لا تطلب منهم اليمين، بل يبادرون بها، من غير طلبٍ، وهذا دليلٌ على استهانتهم بها، وعلى نقصان توحيدهم.

- ثناؤه- صلى الله عليه وسلم -على القرون، أي الأجيال الثلاثة، وهم الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين، والقرون المفضلة في أنها أقرب إلى وقت الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وإلى أهل الفضل والإيمان، والصدر الأول، هذه هي القرون المفضلة، التي يكثر الفضل فيها، والاستقامة فيها، والتوحيد، ثم بعدهم يتغير الأمر، ويختلط الأمر، ولكن لا تزال طائفةٌ من أهل الحق ومن أهل الدين، لا تزال إلى أن تقوم الساعة، كما أخبر النبي- صلى الله عليه وسلم-.

- ذم الذين يشهدون، يؤدون الشهادة قبل أن تُطلب منهم، فهذا دليلٌ على تهاونهم في أمر الشهادة . ولكن إذا كان خشي أن يضيع الحق، ولا يُعلم أن عنده شهادةً، فإنه يتقدم بها؛ لأجل أن يحفظ الحق لصاحبه، ويؤدي الأمانة التي ائتمنه الله عليها، وهي الشهادة بالحق.

- قال إبراهيم النخعي- رحمه الله-، وهو من كبار التابعين، قال" :كانوا "أي السلف الصالح" يضربوننا " أي يضربون الصغار على الشهادة والعهد؛ لأجل أن يربوهم على تعظيم التوحيد، وتعظيم الشهادة، تعظيم أمور الدين، فهذا فيه التربية، أنها حسن تربيةٍ، أنها مطلوبةٌ، وأما من ضيعوا ذريتهم، وضيعوا أولادهم، ولم يربوهم على الخير، تركوهم للأشرار، فهؤلاء خانوا الأمانة، التي ائتمنهم الله عليها، لأن الأولاد أمانةٌ في أعناق والديهم، أن يحفظوهم، وأن يؤدبوهم، وأن يربوهم على الخير، وأن يكفوهم عن الشر، ومن ذلك ألا يُدخلوا وسائل الشر إلى بيوتهم، بين أولادهم، ينظرون إليها، فيتأثرون بها، أو تكون بيوتهم مصونةً من هذه الوسائل الشريرة، والشبكات الفاسدة، التي تفسد الأولاد، تفسد الذريعة، وتفسد النساء، تفسد من في البيوت، وهم أمانةٌ في صاحب البيت؛ لأن صاحب البيت مؤتمنٌ على من فيه، قال- جلَّ وعلَا :-﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾] التحريم[6 :. قو أنفسكم أولًا، ثم أهليكم، بأن تجنبوهم الشر، ووسائل الشر، خصوصًا في هذا الزمان، الذي كثرت وسائل الشر، وانتشار الشر، بواسطة هذه القنوات الهابطة، وهذه الشبكات الفاسدة، التي تجلب الشرور، والتي يُقذف فيها كل خبيثٍ، وكل بلاءٍ، فتدخل في بيوت هؤلاء، ويتأثر بها أولادهم، ونساؤهم، فهم المسئولون عن ذلك أمام الله- سبحانه وتعالى-، فعلى المسلمين أن يتنبهوا لهذا الأمر.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

